فلسطينيو الداخل وعرب إسرائيل- بكر جبر زعبي

سقطت فلسطين عام 1948 تحت الاحتلال، وأعلن عن إقامة دولة "إسرائيل" على أراضي الفلسطينيين، وهُجّر نحو 80% من أبناء الشعب الفلسطيني إلى الدول العربية المجاورة وإلى مناطق فلسطينية أخرى في الضفة الغربية التي بقيت تحت الوصاية الأردنية وإلى غزة التي بقيت تحت الوصاية المصرية. الباقون، وكانوا قرابة الـ 160 ألف فلسطيني، أي نحو 20% من أبناء الشعب الفلسطيني، فلم يغادروا أرضهم، إما بسبب عدم اهتمام أو تمكّن القوات الصهيونية من الوصول إلى مناطقهم، أو التوصل إلى هدن لوقف إطلاق النار، أو بسبب سياسة صهيونية للحفاظ على "الصورة" أمام المجتمع الدولي.

بين مطرقة الاحتلال وسندان القيادة الفلسطينية والعرب، يجد فلسطينيو الداخل أنفسهم كالأيتام على موائد اللئام.. إنهم فلسطينيون وليسوا "عرب إسرائيل".

خلال هذه السنوات، مرّ الفلسطينيون في الداخل بمراحل عديدة، بدأت بمرحلة الحكم العسكري ومنع التجوّل، ثم مجزرة كفر قاسم عام 1956، ثم النكسة التي تسببت بحالة خذلان ويأس واسعة، ثم يوم الأرض عام 1976 ثم انتفاضة القدس والأقصى عام 2000 والآن في 2020، صفقة القرن التي تلوح في الأفق والتي تتضمن بندًا لتغييرٍ في مناطق النفوذ وسحب جنسية وربما "ترانسفير" بحق آلاف الفلسطينيين في منطقة المثلث. وبين هذه الاحداث كلّها، يتعرض الفلسطينيون في داخل الخط الأخضر لسياسات عنصرية مستمرة. فرغم منح إسرائيل جنسيتها لهم إلّا أنها لم توقف مدّ السياسات العنصرية ضدهم، من منع توسع البلدات وقوانين الهدم ومصادرة الأراضي، إلى تخاذل مقصود في محاربة العنف والجريمة المنظمة. فنسبة جرائم القتل في الداخل الفلسطيني أعلى من نسبة جرائم القتل في كل المناطق العربية المجاورة، علمًا بأن الثقافة هي نفسها في الداخل وفي مناطق الضفة وفي الأردن وفي لبنان وسورية. ناهيك عن سياسات عنصرية أخرى، في معظم مرافق الحياة، وتحريض مستمر، خصوصًا في السنوات الأخيرة مع صعود أحزاب اليمين للحكم وعلى رأسها نتنياهو.

وفي ظل هذه المعاناة المستمرة، والتي تتضاعف مع تفاقم ضعف وتمزق العالم العربي، الأمر الذي يعزز استفراد إسرائيل بالفلسطينيين وسط تعمد تكرار عبارة "انظروا ما يحدث في سورية، أو في العراق، اذهبوا إلى هناك إذا لم تعجبكم الظروف هنا".. في ظل هذه المعاناة المستمرة، والتي تتجلى فيها إسرائيل بمشروعها كمطرقة فوق رأس الشعب الفلسطيني ومن ضمنه الفلسطينيون في الداخل، لا

يسلم هؤلاء (فلسطينيو الداخل) من أبناء جلدتهم العرب، كشعوب وحكومات، باستثناء دول محور المقاومة. فالعرب بمعظمهم، بين من يجهلون بوجود هذه الفئة من الشعب الفلسطيني، وبين من يخوّنوها ويتهمونها بالعمل والتعاون مع إسرائيل، أو حتى يعتبرونها مجموعة سكانية إسرائيلية. أما منظمة التحرير برئاسة محمود عباس، فإنها تصرّ، خصوصًا في السنوات الأخيرة، على عدم ذكر فلسطينيي الداخل في معظم الخطابات والأحاديث حول الشعب الفلسطيني. بل وأنها في بعض الأحيان تشدد على أن فلسطينيي الداخل هم جزء من إسرائيل وعليهم التعامل وفق هذا الأمر ضمن "مشروع السلام المنشود". وبين هذا وذاك، تُجمع كافة هذه الأطراف، ومعها أفراد من الشعب الفلسطيني، من منطلق جهالة أو عمالة أو دونية أو غيرها، على مصطلح "عرب إسرائيل" في تعريفهم لفلسطينيي الداخل، وهنا يطرح السؤال، من هم فعلًا "عرب إسرائيل"؟

"عرب إسرائيل" هم الزعماء العرب الذين وقعوا معاهدات السلام مع إسرائيل...هم الشعوب العربية التي رضيت بذلك السلام المُزيّف...هم من يحارب المقاومة التي حاربت إسرائيل وأوجعتها."

الزعماء العرب الذين وقعوا معاهدات السلام مع إسرائيل فيما أخوتهم يتعرضون لظلم الاحتلال والتهجير، هؤلاء الزعماء، يجوز بأن يطلق عليهم مصطلح "عرب إسرائيل"، كذلك الشعوب العربية التي رضيت بذلك السلام المُزيّف الذي وقعه قادتها بأوامر أمريكية، يليق بهم مصطلح "عرب إسرائيل". الزعماء العرب الذين حافظوا على معاهدات السلام مع إسرائيل التي وقعها سلفهم "الطالح"، كذلك الزعماء العرب الذين يملكون جيوشًا ونفطًا وأموالًا تبني الجيوش أيضًا، ويعيشون خدمًا لنعال أمريكا وقد بدأوا مؤخرًا بعمليات التطبيع العلنية مع إسرائيل، حتى وصل بنتنياهو أن يعلن بأن الرحلات للسعودية مباشرة من إسرائيل باتت ممكنة، بهدف العبادة (الحج والعمرة) أو لأهداف تجارية، هؤلاء أيضًا يليق بهم وصف "عرب إسرائيل". الشعوب العربية التي ترضى بانبطاح زعمائها بعباءاتهم القذرة، يليق بهم هذا اللقب أكثر مما يليق بفلسطينيي الداخل. وأخيرًا، من يحارب المقاومة التي حاربت إسرائيل وأوجعتها، ومن يحاول أن يقطع شريانها الأساسي ويتعاون مع كل محتل إسرائيلي أو تركي أو أمريكي، هؤلاء أيضًا أقرب لوصف "عرب إسرائيل" من غيرهم.

بين مطرقة الاحتلال الإسرائيلي الذي يتعامل معهم كفلسطينيين وكطابور خامس داخل حدوده وأعداء في بعض الحالات، وبين سندان من لا يعترف بوجودهم أصلًا ويعتبرهم من اليهود، ومن يعترف، ويصّر على أن يطلق عليهم عبارة "عرب إسرائيل"، يظهر أبناء الشعب الفلسطيني في الداخل كالأيتام على موائد اللئام، لكنهم رغم ذلك، يواصلون نضالهم بصمودهم ودفاعهم عن لغتهم وهويتهم ومقدساتهم وما تبقى لهم من قراهم ومدنهم، بشتى الطرق الممكنة.

بكر جبر زعبي

صحافي فلسطيني، من مواليد العام 1989، في قرية كفر مصر، بمرج بن عامر في الجليل الأسفل، يسكن في مدينة الناصرة، وقد بدأ مسيرته المهنية عام 2010، وعمل مراسلًا في عدد من المواقع الإخبارية والصحف المحلية في الداخل الفلسطيني، ويعمل اليوم مُحرِّرًا صحفيًا في موقع "بُكرا"، وهو موقع اخباري محلي يختص بأخبار الداخل الفلسطيني والضفة الغربية وغزة، ومقرّه في مدينة الناصرة. كما ويشغل أيضًا وظيفة رئيس تحرير ومالك موقع "مرج بن عامر" وهو موقع اخباري محلي لمنطقة قرى مرج بن عامر والناصرة، وينشط في الكتابة بمنصات التواصل الاجتماعي، كذلك يعمل في ترجمة المقالات والنصوص وفي التسويق الإعلامي وفي إعداد البرامج التلفزيونية بشكل مستقل بين حين وآخر.